# الاشتقاق والعلمية والتواصلية

**د. بن عسلة عبد القادر**
المركز الجامعي غليزان

اللغة كائن حي قابلة للموت والزوال ما لم يكن تحمل في طياته نفحات من روح التطور والنماء وما لم يتوفر على طرائق تمكنه من هذا البقاء وتمده بأسباب البقاء ، وللعربية كغيرها من اللغات البشرية من الوسائل والطرائق ما يكفل لها الخلود والقدرة على مسايرة الركب الحضاري ، ومن ذلك الاشتقاق والارتجال والنحت والملحق والمعدل ...

_ الاشتقاق :

يعد الاشتقاق من أبرز ما تمتاز به اللغة العربية ، وهو في مفهومه العام توليد ألفاظ ومفردات جديدة

للتعبير عن معان مستحدثة ، ومن هنا فهو (( نوع من التوسع في اللغة ، يحتاج إليه الكاتب ، وتلجأ إليه المجامع العربية للتعبير عما يستحدث من معان ، مما يساعد على مسايرة التطور الاجتماعي )) (1) والعلمي والتكنولوجي والأدبي .

التفت القدامى إلى ظاهرة الاشتقاق ، وذلك منذ بداية البحث في اللغة واشترطوا لصحة الاشتقاق

أن يكون مبنيا على جذور تعتبر الأصل في كل اشتقاق ، ومن هنا فهو عندهم (( استخراج لفظ من آخر متفق معه في المعنى وفي الحروف الأصلية )) (2) ، وهذا ما تعرض إليه ابن السراج في رسالة الاشتقاق

حيث يشترط في الاسم المشتق شيئين : أولهما أن يتضمن حروفا من المشتق منه ، وثانيهما أن يشاركه في بعض من معناه إذ يقول نقلا عن أحمد شامية : (( وإن سأل سائل ما معنى قولنا هذا الحرف " يريـد الكلمة " مشتق من هذا الحرف ، قيل له : لن يستحق هذا الاسم حتى يكون له شيئان : أحدهما أن تجد حروف أحدهما التي يقدرها النحويون بالفاء والعين واللام موجودة بأعيانها في الحرف الآخر ، إذا كان أحدهما ثلاثيا كان ثلاثيا ، وإن كان رباعيا كان رباعيا مثله ، وإن كان خماسيا فكذلك ، ولا يقع إلا باختلاف

الحركات والزوائد ، فيكون البناء والأصول واحدة والآخر أن يشاركه في معنى دون معنى ، فإن لم يجتمعا البتة فلا اشتقاق لأن كل واحد غريب عن الآخر ، وإن لم يختلفا فلا اشتقاق أيضا لأن هذا هو هذا )) (3)

مما تقدم يتضح أن الاشتقاق لا يجوز إلا بوجود الأصل ، كما أنه لا يتم إلا عن طريق القياس لأنه

الأساس الذي تبنى عليه هذه العملية أو هو كما يقول إبراهيم أنيس كـ (( المبرر الذي تستند عليه مثل هذه العملية الاشتقاقية كي يصبح المشتق مقبولا معترفا به بين علماء اللغة )) (4)

_ أنواع الاشتقاق :

_ الاشتقاق الكبير :

يقوم هذا النوع من الاشتقاق على تقليب حروف المادة الأصلية للفظ مع إعادة ترتيبها بشكل رياضي

على أن يجمع بين هذه التقلبات كما يرى أصحاب هذا الاتجاه معنى عام مشترك ، ومن هؤلاء ابن جني الذي يقول : (( الاشتقاق عندي على ضربين : كبير وصغير ، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم ، كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه ، وإن اختلفت صيغه ومبانيه ، وذلك كتركيب " س ل م " فإنك تأخذ منه معنى السلامة والسليم : اللديغ الذي أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة ، وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته ، وبقية الأصول فيره كتركيب " ض ر ب " و " ج ل س " و " ز ب ل " على ما في أيدي الناس ، من ذلك فهذا الاشتقاق الصغير ... وأما الكبير فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتقعد عليه وعلى تقاليبه السنة معنى واحدا تجمع التراكيب الستة ، وما يتصرف من كل منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل إليه ، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد )) (5)

ومن الأمثلة التي ساقها ابن جني مادة " ج ب ر " إذ يقول : (( فمن ذلك تقليب " ج ب ر" ، فهي أين وقعت للقوة والشدة منها : جبرت العظم والفقير إذا جبرتهما وشددت منهما ، والجبر الملك لقوته وتقويته لغيره ، ومنها رجل مجرب ، إذا جرسته الأمور ونجذته ، فقويت واشتدت شكيمته ، ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه ، وإذا حفظ الشيء وروعي اشتد وقوي ، وإذا أغفل وأهمل تساقط ورذي ، ومنها الأبجر والبجرة وهو القوي السرة ومنها ....ومنها رجبت الرجل إذا عظمته وقويت أمره ، ومنه رجب لتعظيمهم إياه عن القتال

فيه . وإذا كرمت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرجبة ، وهي شيء تستند إليه لتقوى به ، والراجبة أحد فصوص الأصابع وهي مقوية لها )) (6)

مما سبق نتبين أن أصوات مادة " ج ب ر" ومهما اختلف ترتيبها فهي تدل عند ابن جني على معنى القوة والشدة ، وهذا ما يرفضه البحث اللغوي الحديث الذي يرى أصحابه أن ما ذهب إليه ابن جني والثعالبي لا يخلو من المغالاة والمبالغة ، ودليلهم في ذلك أنه إذا كانت حروف " ر ك ب " وكيفما كانت تقلباتها على حد زعم ابن جني تعبر عن الإجهاد والمشقة ، فمن قال كما يقول إبراهيم أنيس (( إن كل ركوب فيه مشقة ، إنما هو راحة إذا قيس بالمشي والعدو ، ثم أليس يبرك الجمل ليستريح ؟ ولا يلجاء الجمل إلى هذا إلا بعد الجهد والعنف )) (7)

_ الاشتقاق الأكبر :

هو ما يستبدل فيه حروف بأخرى إما لتقاربها في المخرج أو اتحادهما في صفة تجمع بينها ، والإبدال كما يرى ابن فارس من سنن العرب حيث يقول : (( ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ، ويقولون " مدحه ومدهه " و " فرس رفل رفن " ، وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء )) (8)

ومن هؤلاء ابن جني الذي أفرد له بابا في كتابه الخصائص تحت عنوان " تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني " جاء فيه قوله : (( هذا غور من العربية لا ينتصف منه ، ولا يكاد يحاط به وأكثر كلام العرب عليه ، وإن كان غفلا مسهوا عنه ، وهو على أضرب منها اقتراب الأصلين كضياط وضيطار ، ولوقة وألوقة ورخو ورخود وينحوج والنجوج ، ومنها اقتراب الأصلين ثلاثيا أحدهما ورباعيا صاحبه أو رباعيا أحدهما وخماسيا صاحبه كدمث ودمثر وسبط وسبطر ، ولؤلؤ ولآل والضبغطى والضبقطرى ، ومنه قوله :" قد دردبت والشيخ دردبيش " )) (9)

يقول ابن جني في موضع آخر عن " هز و أز " : (( ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى " ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا " / مريم 83 / أي تزعجهم وتقلقهم هذا في المعنى " تهزهم هزا " والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان بتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفس من الهز لأنك تهز ما لا بال له كالجذع والساق والشجرة ونحو ذلك )) (10)

وهو الاتجاه نفسه الذي نجده عند الثعالبي الذي يرى إن الإبدال من سنن العرب ومن ذلك قولهم :

(( مدح ومده ، وجد وجذ وخرم وخزم وصقع الديك وسقع ، وفاض أي مات وفاظ وفلق الصبح وفرقه ، وفي قولهم صراط وسراط ومسيطر ومصيطر ومكة وبكة )) (11)

_النحــت :

يعد النحت عند القدامى ضربا من ضروب الاشتقاق ولذلك أدرجوه ضمن هذا الباب تحت عنوان

" الاشتقاق الكبار " ، وهو كغيره من أنواع الاشتقاق وسيلة من وسائل التوليد اللغوي إذ يساعد على استحداث ألفاظ جديدة للتعبير عما معان جديدة تساير التطور الاجتماعي في مختلف مجالاته ، ويقوم هذا النوع على استخراج (( كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر ، وذلك أن اللغة العربية تشتمل على الكثير من العبارات المشهورة الكثيرة الشيوع فيها التي تستعمل في غالب الأحيان ككتل متماسكة الأجزاء في ظروف لغوية معينة فكأنها بمثابة الأمثال والحكم مثل " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، " بسم الله الرحمن الرحيم "

" جعلني الله فداك ....)) (12) عليه فقد ولدت هذه العبارات وغيرها ، فقالوا عن الأولى " حوقل " وعن الثانية " بسمل " ، وعن الثالثة " جعفل " ، فمن هذه الأمثلة يمكن اعتبار النحت عملية اختزال في الكلمات والعبارات ، ومن النماذج التي أوردها الثعالبي في كتابه فقه اللغة (( البسملة حكاية قول : بسم الله ، السبحلة حكاية قول : سبحان الله ، الهيللة حكاية قول : لا إله إلا الله ، الحوقلة حكاية قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، الحمدلة حكاية قول المؤذن : الحمد لله ، الحيعلة حكاية قول : حي على الصلاة حي على الفلاح ، الطلبقة حكاية قوله : أطال الله بقاءك ، الدمعزة حكاية قول : أدام الله عزك ، الجعفلة حكاية :

جعلت فداك )) (13)

عرفت ظاهرة النحت عند كبار علماء اللغة القدامى حيث تناولها كل من الخليل في " العين " وابن سكيت في " إصلاح المنطق " والجواهري في " الصحاح " وابن فارس في " المجمل " والثعالبي في " فقه اللغة "

ومن الشواهد على قدم هذه الظاهرة نكتفي بذكر :

_ قول عمر بن أبي ربيعة :

لقد " بسملت " ليلى غادة لقيتها يا حبذا هذا الحبيب المبسمـــــل

_ قول الشاعر :

فداك من الأقوام كل مبخـــــل " يحولق " إما ساله العرب سائل

_ قول الشاعر :

أقول لها ودمع العين جـــــــــار ألم يحزنك " حيعلة " المنــــادي

وقد وردت عن القدامى كلمات منحوتة في شكل كلمات منسوبة على نحو ما جاء في قول الثعالبي :

(( العرب تنحت من كلمتين وثلاث كلمة واحدة ، وهو نوع من الاختصار كقولهم : رجل عبشمي ، منسوب إلى عبد شمس )) (14) ، ومثل عبشمي عبدلي نسبة إلى عبد الله وحضرمي نسبة إلى حضرموت ، ومنها اشتق هؤلاء كلمات أفعالا منحوتة فقالوا " تحضرم " بمعنى انتسب إلى حضرموت و" تعبشم " انتسب إلى قبيلة " عبد شمس " .

يؤكد الدارسون للغة العربية على أن الاشتقاق بكافة أنواعه قوة كامنة في كيان العربية كما (( أنه أداة تطورية دائمة ، وهي تقتضي منا أن نحسن فهم حركتها في العربية الفصحى أولا ، ومن ثم نتمكن من استعمالها ، وأنها تعطينا طبقات متعددة من الدلالات المميزة إلا أنها غير منفصلة ، ولا تحجب منها الأخريات عن المعنى الأول )) (15) .

يتضمن هذا القول إشارة ضمنية إلى أهمية الاشتقاق في العملية التواصلية حيث يمكن اعتماد على ما موجود من الألفاظ لنولد منها ألفاظا أخرى للتعبير عن معان مستحدثة ، وإن كانت غير منفصلة عن المعنى الأصلي ، شريطة أن يكون ذلك قاسما مشتركا بين قطبي العملية التواصلية " الملقي والمتلقي " ، ذلك أن هناك من الكلمات ما لم تتناوله المعاجم اللغوية ، ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر وزن (( انفعل من مادة " ج م ع " انجمع فلسان العرب لم يوردها ، ولكن الوزن مستخدم في الأندلس بحسب ما أورده المقري " انجمعت من على النفوس " ، ومما تسكت المعاجم عن فعله كلمة " الخافل بمعنى الهارب " . فيمكن أن نشتق لها فعلا هو " خفل " بفتح العين ، وذلك لأن الفعل اللازم لا يصاغ منه وزن فاعل صياغة قياسية إلا إذا كان مفتوح العين إلا إذا كان مفتوح العين ، ونبحث عن كلمة " الاحترام " فلا نكاد نعثر عليها في معاجمنا إلا في " المصباح المنير " ، فإذا أردنا أن نشتق منها فعلا كان مثل " احترم " ، ولقد جاء في كتب الحديث كلمة " محترم " على صورة اسم المفعول مما يرجح أن الفعل متعد فنصوغ منه " احترمته يحترمه )) (16) ، وهكذا يمكن أن نولد ما لا يحصى من الألفاظ الجديدة في مختلف الميادين وخصوصا في المجال العلمي الذي نفتقر فيه إلى ما نعبر به عما ابتكر من اختراعات .

إن ما يستحدث من ألفاظ في هذا المجال وغيره وبعد الشيوع والذيوع والانتشار على الألسنة كاف لتحقيق الغاية من العملية التواصلية ، وهذا ما نستشفه من تجارب السلف حيث عمدوا إلى اشتقاق ألفاظ جديدة مما كان بين أيديهم فقالوا (( أورق ، فلفل ، تأبط ، أذنه ، ورق ، فلفل ، أبط ، أذن ، ومن أسماء الأزمنة شتوت ، أربعوا ، الشتاء ، الربيع ، ومن أسماء الأصوات : صهل ، نعق ، الصهيل ، والنعيق ، من حكاية صوت الفرس وصوت الغراب ، ومن أسماء الأعداد وحد وثنى ، واحد واثنان )) (17)

يباح لنا إذاً وعلى غرار ما قام به القدامى أن نولد ألفاظا غير موجودة باعتماد الأسلوب ذاته قياسا على ما هو متداول في بعض وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة وغيرها على نحو " أفغن ، لبنن ، جزأر ، دمقرط ، أمرك ، من " أفغانستان ، لبنان ، الجزائر ، ديمقراطية ، أمريكا " وعليه يمكن أن نقول : " وهرن تقسنطن ، تمسغن ، تفنذف ، تعملق ، تفرعن ...." من وهران ، قسنطينة ، مستغانم ، تندوف ، عملاق

فرعون " .

غالبا ما يستدعى المقام اللجوء إلى المشتقات في العلمية التواصلية من اسم فاعل واسم مفعول وصيغة مبالغة وصفة مشبهة وغيرها بحسب ما يفرضه الموقف التواصلي ، ومن هنا وجب على الملقي والمتلقي التمييز بين أنواع المشتقات من حيث الدلالة ومن حيث البنية ذلك أن الكلمات ذات الأصل الواحد يختلف معناها باختلاف مبناها حيث قيل كل " زيادة في المبنى زيادة في المعنى " ، والملفت للانتباه هنا أنه قد يحل مشتق محل نوع أخر من المشتقات ، ومن هنا يلتبس المعنى على المتلقي إن لم يكن في مقدوره التمييز بين المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وغيرها ،فقد يأتي اسم المفعول بلفظ اسم الفاعل في نحو قول العرب : (( سر كاتم أي مكتوم ، ومكان عامر أي معمور ، وفي القرآن " لا عاصم اليوم من أمر الله " / هود : 43 / أي لا معصوم ، وقال تعالى : " خلق من ماء دافق " / الطارق : 06 / أي مدفوق )) (18)

ومن الشواهد التي ورد فيها اسم الفاعل بلفظ اسم المفعول قوله تعالى : (( إنه كان وعده ماتيا )) (19)

أي " آتيا " وقوله (( حجابا مستورا )) (20) أي " ساترا " .

_ المعدل :

يقوم هذا النوع من المشتقات على توليد ألفاظ من أخرى عن طريق التحوير والتغيير ، فالمعدل من الألفاظ يشكل الفرع والمعدل منه يمثل الأصل ، والملاحظ أن ظاهرة المعدل قديمة في اللغة العربية إذ نجد من الألفاظ العربية القديمة ما هو معدل ، وهي (( ذات أثر في القواعد المتصلة بالصرف والممنوع من الصرف ، فالعلم المعدل ممنوع من الصرف مثل " عمر " و " زفر " )) (21) .

المعدل من الألفاظ قد يكون من الاسم المفرد من الأعلام نحو " عامر " الذي يعدل إلى " عمر " ، وقد يكون في الأعلام المركبة تركيبا إضافيا على نحو ما هو شائع في لهجاتنا ، وقد ارتبط هذا النوع (( بالتدليل

إذ نرى كل اسم علم مكون من مركب إضافي ، المضاف فيه " عبد " والمضاف إليه أحد أسماء الله الحسنى

" عبد الله ، عبد الرحمن ، عبد الرحيم ...إلخ " يعدل للتدليل إلى " عبد " كما يعدل " إسماعيل " إلى

" سُمَع " ، وقد يأتي المعدل على صيغة غير الفعل كما في " حمادة " معدول " محمد " و " حودة " معدول " محمود " و تيقة " معدول " توفيق " ...إلخ )) (22) ، وقد يكون من غير المفرد ومن غير الأعلام أي من اسمين نحو (( اثنين إذ يعدل إلى مثنى )) (23)

للمعدل علاقة بالإبدال وهو كما يعرفه اللغويون تغيير يحدث في لفظ من الألفاظ نتيجة تطور صوتي حدث عبر تعاقب الأجيال مع بقاء المعنى على أصله ، وقد ميز هؤلاء بين ثلاثة أنواع من الإبدال : الإبدال اللغوي ، والإبدال الصرفي ، والثالث الإعلال ، فالأول غير مطرد وهو موضوع عرضنا ، والثاني مطرد وهو ما يحدث في " تاء " افتعل التي تقلب إلى طاء ودال إذا اجتمعت مع الصاد والزاي أو الذال وغيرها ، أما الإعلال

فيقع في الغالب مع الواو أو الياء اللتين تقلبان إلى همزة إذا جاءتا متطرفتين ، وقد تحدث عن هذا الموضوع

الكثير من النحاة واللغويين ، وأفردوا له أبوابا في مؤلفاتهم . ولعل أبرز ما وصلنا في هذا المجال رسالة ابن السكيت تحت عنوان " القلب والإبدال " أحصى فيها الكلمات التي وقع فيها إبدال ، يقول : (( إن كل اثنتين منها تعبران عن معنى واحد ، ولا يختلف لفظهما إلا في حرف واحد مثل " التهتان " و " التهتال " فكل منهما تعنى سقوط المطر ، ولا يختلف اللفظ إلا في " النون " في الأولى قد حلت محل اللام في الثانية )) (24)

يرى إبراهيم أنيس أن ابن السكيت كان يعتقد أن هذه الظاهرة أي الإبدال من خصائص العربية إذ كان يتصور أن العرب (( كانوا يستبدلون حروفا بأخرى دون سبب ظاهر ، وينطق كل منهم على حسب ما يستهوي ويحب مرة بالنون ومرة باللام ، أو على الأقل كان بعض الناس يؤثرون النون ، والبعض الآخر يؤثرون اللام في نطقهم لمثل هذه الكلمة ، وهم جميعا أبناء البيئة الواحدة )) (25) . والملاحظ أن فكرة ابن السكيت قد تبناها من جاء بعده من العلماء ، ومن هؤلاء ابن فارس الذي يقر أن الإبدال من سنن العرب

وقد سبق أن أشرت إلى ذلك في أثناء حديثي عن الاشتقاق الأكبر .

هذا وقد ساهم النحاة إلى جانب اللغويين في توسيع دائرة الإبدال حيث شمل ما يعرف بالإعلال الذي يتناول الكلمات التي وقع فيها إبدال حرف بأخر لعلة وسبب اقتضى هذا التغيير ، ومن ذلك قلب الواو والياء

همزة والتاء صادا أو دالا في مثل قولهم : " سماء ، صائم ، اصطبر ، ازدهر ..." وما إلى ذلك مما تناوله هؤلاء

في بحوثهم ، وهذا اللون من الإبدال يتصل اتصالا وثيقا بعلم الصرف أكثر منه بفقه اللغة لأنه يقوم على قواعد صرفية محضة ، ومن هنا أخلط هؤلاء بين (( ظاهرتين مختلفتين ، أو على الأقل يمكن أن يقال لإتهم قد أخذوا بمذهب الأصل والفرع في صورة الكلمات ، ولذا نراهم يقسمون الإبدال إلى مطرد واجب ، وهو ما وقع في نحو الكلمات السابقة ، وجائز مثل " وجوه ، أجوه ، وشاح ، إشاح " ثم غير مطرد الذي يقتصر فيه

على السماع ، وهو في رأيهم قد أمكن وقوعه في حروف الهجاء ، ولكنه اشتهر في حروف معينة عدها بعضهم باثني عشر وبعضهم بأربعة عشر )) (26)

وإذا ما عدنا إلى أدب الكاتب لابن قتيبة نجده قد تحدث عن الإبدال وأفرد له بابا تحت عنوان

" المبدل " أورد فيه بعض الكلمات التي حدث فيها إبدال وحدد معانيها مستشهدا على ذلك بما ورد منها في أبيات شعرية ، لكن من دون أن يذكر سبب هذا الإبدال أو الدافع إليه ، ومن دون أن يحدد أي الكلمتين أبدلت من الأخرى ، ومن جملة ما ورد في مؤلفه (( قالوا : " مدهته " بمعنى " مدحته " ، و " الأيم " و " الأين "

الحية والقبر ، " جدث " و " جدف " و " استأديت " و " استعديت " و " أدني عليه " و " أعدني عليه " و " فناء الدار " و " ثناؤها " واحد ... )) (27)

ويرجع بعض علماء اللغة الإبدال إلى اختلاف اللهجات ، ومنهم البطليموسي الذي يقسم (( هذا النوع إلى قسمين : قسم مرجعه إلى الإبدال وهو الذي سمع في البيئة الواحدة أو في نصوص الآداب القديمة ، وآخر مرجعه اختلاف الصورة فيه إلى اللهجات العربية المتباينة )) (28)

أما المحدثون فيرجعون ظاهرة الإبدال إلى التطور الصوتي الذي يمكن أن يفسر الصلة بين الحرفيين المبدل والمبدل منه ، ومن ذلك صلة بين الهاء والهمزة أو الفاء والثاء وغيرها من الأصوات يقال عنها إنها متقاربة المخارج ، وفي هذا الصدد يقول إبراهيم أنيس : (( معظم الكلمات التي رواها ابن السكيت في كتابه من هذا النوع الذي نلاحظ فيه الصلة الوثيقة بين الحرف الأصلي والحرف الجديد في الكلمة التي أصابها

هذا التطور الصوتي ، فما يسمى بالإبدال بين الهاء والهمزة أو الفاء والثاء أو اللام والراء ، أو الدال والذال إلى آخر ما جاء في كتاب ابن السكيت ، كل هذا مما يمكن تفسيره لوضوح الصلة الصوتية بين كل حرفين

أما الذي يصعب تفسيره فيما رواه ابن السكيت فهو حين حدثنا عن الإبدال بين الحاء والجيم أو اللام والدال أو الطاء والجيم أو الفاء والكاف أو الفاء والقاف ، ويجدر بنا في مثل هذه الأحوال ألا نربط بين الصورتين ، بل يجب أن نعد كلا منهما صورة أصلية مستقلة تمام الاستقلال عن الصورة الأخرى )) (29)

والملاحظ أن من الإبدال ما يعود إلى ما يعرف بـ " التصحيف " الذي أدى إلى تحريف الكثير من الكلمات حتى في مجال القراءات ، فكانت له أثاره الواضحة في (( بعض كلمات اللغة كما جاءت في المعاجم

التي بين أيدينا )) (30) ، ويكثر التصحيف غالبا في الحروف ذات الشكل الواحد كالقاف والفاء والزاي والراء والسين والشين والدال والذال والعين والغين والصاد والضاد والطاء والظاء وغيرها ، وهو ما لم يسلم منه أحد وفي مقدمتهم علماء اللغة أمثال الكسائي والفراء وابن الأعرابي وأبو عمرو وابن السكيت وغيرهم كما تحدثنا كتب اللغة .

ومما سبق يمكن القول إن المعدل من الألفاظ على أنواع ، فمنها المعدل عن طريق إبدال حرف بحرف نحو " هز " و " أز " أو قلب حرف بأخر نحو " السماء " أصلها " السماو " ، ومن أشكال هذا النوع كما جاء في أدب الكاتب المعدل من المشدد ، ومنه (( تكمكم الرجل من الكمة وهي القلنسوة ، والأصل " تململ على فراشه " والأصل " تملل " من الملة ، وهي الرماد الحار ، ومنه قول الشاعر : " باتت تكركره الجنوب " وأصله

" تكرره " من التكرير )) (31) . أو بالقلب المكاني نحو " حادي معدل من " واحد " ، " أيس " معدل من

" يئس" ، أو بالزيادة نحو " عمرو و " عامر " معدلان عن " عمر " وغيرها كثير .

وهناك نوع آخر من المعدل أو المبدل حيث يبدل أحد الحرفيين المثلين إذا اجتمعا " ياءا " في نحو

(( تظنيت من الظن وأصله تظننت ، قال العجاج : تقضي البازي إذا البازي كسر ، أراد " تقضض " ، وقال

الله عز وجل " وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية " / الأنفال : 35 / ، قال أبو عبيدة : المكاء التصفير والتصدية التسفيق ورفع الصوت ، وأصله من صددت أصد ، ومنه قول الله عز وجل : " إذا قومك منه يصدون " /الزخرف : 57 / أي يضجون ويعجون فجعل إحدى الداليين ياءا ، و " لبيك " هو من " ألب

بالمكان " إذا أقام به فأبدل من إحدى الياءين ياءا )) (32)

ما يمكن استخلاصه مما تقدم أن المعدل والمبدل نوعان : الأول ما يقع في اللغة الواحدة ويأتي في شكل من أشكال الصور المذكورة آنفا ، وهي التصحيف ، التشديد ، الزيادة ، القلب المكاني ، ويتجلى أثره في توسيع المرجع الواحد ، الثاني هو ما يحدث في اللغات أو اللهجات نحو " هيهات " في لغة تميم ، و " أيهات "

في لغة قريش ، فلكل من الكلمتين مرجع يختلف عن الآخر إلا أنهما يصبان في مرجع واحد مما يساعد على توسيع هذا المرجع وإثراء مفرداته .

وفي الأخير يمكن أن نتصور علاقة كل من المشتق ، المرتجل ، المنحوت ، الملحق والمعدل بالعملية التواصلية على النحو الآتي :

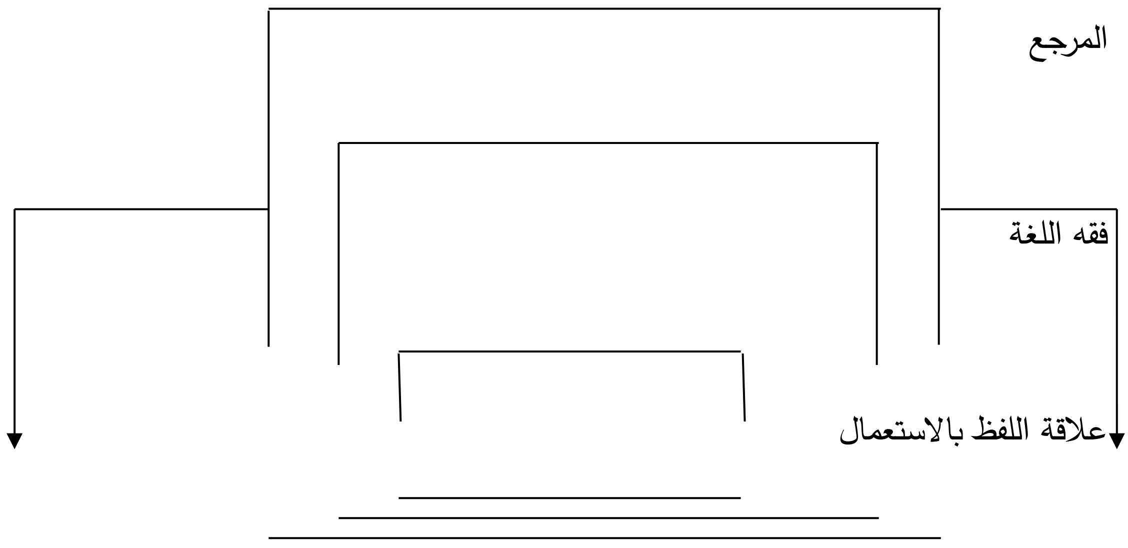

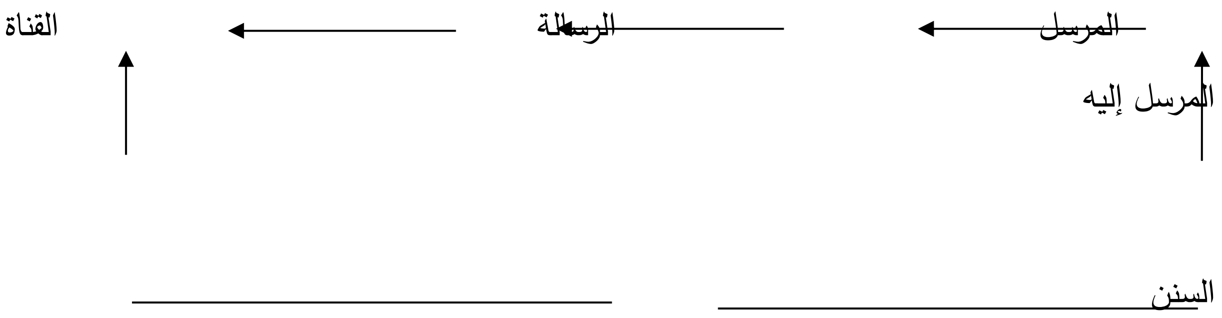


ـ المرتجل :

يعد الارتجال من ضمن طرق نمو اللغة والوضع اللغوي ، حيث يساعد كغيره من الطرائق الأخرى

التي حددها اللغويون على إثراء اللغة إلا أنهم يختلفون في حقيقة مفهومه ، فمنهم من يرى (( أن الارتجال

الاختراع ، كأن ينطق المتكلم بكلمة جديدة في معناها أو جديدة في صورتها ، فلا تمت لمواد اللغة بصلة ، أو

تناظر صيغة من صيغها )) (33) ومنهم من كان (( يطلق الارتجال ولا يعني به شيئا أكثر من الاشتقاق الذي قد يولد لنا صيغة من مادة معروفة ، وعلى نسق صيغ معروفة مألوفة من مواد أخرى كالذي روي عن رؤبة

العجاج أنه قال : " تقاعس العز بنا فأقعنا " فقد صاغ كلمة جديدة من مادة معروفة مألوفة في لفظها

ومعناها)) (34) ، ومن الأدلة على جواز الارتجال ما يرى أنه أجاز أن نبني اسما و فعلا وصفة من " ضرب "

مثل رجل ضربَبُ .

لقد تناولت كتب فقه اللغة الحديث عن الارتجال وأشهر المرتجلين ، ومن ذلك ما نجده عند ابن جني

الذي يؤكد أن (( رؤبة وأباه كانا يرتجان ألفاظا في رواية محكية عنهما ، وتروى هذه الرواية بنصها في كتب أخرى، وقد شاع أمرها بين اللغويين حتى أوشكت أن تصبح في أذهانهم حقيقة لا يتطرق إليها الشك )) (35)

ومن أهم المصادر التي تناقلت هذه الروايات كتاب الأغاني وكتاب الأدب وخزانة الأدب وغيرها كثير ، وبالمقابل هناك من ينفي أن يكون رؤبة ووالده يرتجلان الكلمات على غرار ما نجده عند إبراهيم أنيس الذي

يقول : (( إنه لم يظفر لرؤبة وأبيه بما يمكن أن يعد ارتجالا ، رغم أنهما مشهوران بالارتجال في كل روايات الأدباء بل لم نكد نظفر بنصوص صريحة تؤكد لنا أن الارتجال قد حدث فعلا في اللغة العربية ، اللهم إلا بضع كلمات غير منسوبة جاءت على أنها مصنوعة مثل قول ابن دريد في الجمهرة أن الخليل قال : أما ضهبد وهو الرجل الصلب ، فمصنوع لن يأت في الكلام ، وكذلك عفنشج لتقليل الوخم )) (36)

الملاحظ أن إبراهيم أنيس وإن كان ينفي الارتجال عن رؤبة ووالده فإنه يقر بوجوده حيث يرى أن هناك كلمات مرتجلة مروية عن بعض كبار علماء اللغة ، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد ، وهذا يعني أن الارتجال وإن كان محدودا في العربية فإنه موجود لا يمكن إنكاره ، وهو من الظواهر التي شاعت في اللغة العربية كالنحت والاشتقاق والاقتراض وغيرها , وقد تعرض النحاة هم الآخرون إلى الارتجال في أثناء حديثهم عن " العلم " ، ومنهم ابن مالك الذي يقول في ألفيته :

(( ومنه منقول كفضل وأسد     وذو ارتجال كسعاد وأدد )) (37)

والمراد بالمنقول عندهم (( أنه ما أفاد بصيغته معنى في اللغة قبل استعماله للعملية ، في حين أن العلم المرتجل لا يدل على أي معنى ، أو بعبارة أخرى لم يكن قبل العلمية كلمة من كلمات اللغة ، هذا هو رأي جمهور النحاة غير أننا نرى أن سيبويه يعتبر الأعلام كلها منقولة ، ونرى الزجاج يعتبرها كلها مرتجلة )) (38)

ويرى ابن يعيش من جهته أن العلم المرتجل منه ما هو (( قياسي له نظائر في الوزن بين الأعلام الأخرى غير

المرتجلة مثل " فقعس " اسم رجل من بني أسد الذي يناظر " سهلب " ، ومعنى " سهلب " قبل العلمية الطويل )) (39) ، ومنه (( المرتجل الشاذ مثل " موهب " بفتح العين اسم رجل ، وذلك لأن هذا الوزن لا يكون في اللغة إلا مكسور العين )) (40)

هذا عن القدامى أما المحدثون فقد انقسموا إلى فريقين ، منهم من يؤيد وجد الارتجال معتمدين على الأدلة والشواهد ، ومنهم من يرفضه رفضا تاما ، وسبب في هذا يعود إلى مفهوم الارتجال عندهم الذي يعني الخلق من العدم ومن هنا (( ضيقوا من دائرة الارتجال ، وقصروه على تلك الكلمات الجديدة في لفظها ومعناها ، والتي لا تمت لمواد اللغة أو صيغة بصلة ما )) (41) ، وعليه فإن مفهوم الارتجال هو الاختراع

Invention من العدم أي اختراع كلمات لا علاقة لها بما هو موجود أو مألوف ، ذلك أن مرجع بعض الكلمات التي قيل عنها إنها مرتجلة القياس والاشتقاق أو النحت أو الاقتراض ، وهذا كله لا يدخل ضمن الارتجال .

ومهما تباينت الآراء حول حقيقة الارتجال ومفهومه ، فإنه كما يقول إبراهيم أنيس (( ممكن ولا يحتاج إلى قدر كبير من الثقافة ، بل في إمكانية كل منا أن يرتجل متى شاء وأنى شاء ، وليس مقصورا على قوم دون قوم آخرين ، فنحن نستطيع أن نرتجل كلمات عربية ما أنزل الله بها من سلطان ، وأن نخلع عليها من المعاني ما يشاء لنا الهوى ، وهي لا تقل حينئذ عما نسبه القدماء من اللغويين للإعراب )) (42) .

وهو ما نلاحظه في بعض المجتمعات الغربية التي اعتمد أفرادها على ارتجال كلمات عامية شاع استعمالها بينهم ومرت عليها (( مراحل وتعاقبت عليها ظروف ثم ارتقى منها إلى لغة المعاجم والقواميس إلا القليل أو أقل القليل ، إذ تبدأ الكلمة في محيط ضيق ، وفي وسط خاص ، فتشبه حينئذ ما نسميه نحن

" بالسيمّ إذا أتيحت لما فرص الشيوع والدوران أصبحت مما يسمى بالعامية أو الدارجة Slang ثم قد تسمو إلى اللغة الفصيحة )) (43) ، وهذا ممكن في اللغة العربية .

إن وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل والتفاهم بين أبناء المجتمع الواحد ، وإن لم تكن كذلك فهي مجرد عبث ، وإذا كان البعض لا يمانع من اعتماد الارتجال كوسيلة من وسائل نمو اللغة وإثرائها بمفردات

جديدة للدلالة على معان مستحدثة في مختلف مناحي الحياة ، فهل ذلك يحقق الغاية من العملية التواصلية ؟ وإذا كان الجواب بالنفي فما هي إذا الفائدة التي نجنيها من أن نرتجل كلمات من غير أن نحتاج

إليها في مواقف معينة ؟ وإذا كان الجواب بالإثبات فكيف يمكن للمرتجل من الألفاظ تحقيق الغاية من العملية التواصلية ؟؟

لقد ذهب إبراهيم أنيس كما سبقت الإشارة أنه في إمكان أي منا أن يرتجل ما يشاء من الكلمات للتعبير عما يشاء من المعاني ، إلا أنه هل في إمكان المرتجِل أن يتواصل بما ارتجله من الكلمات ؟ طبعا لا يمكن ذلك ما دام المتلقي لا عهد له بما تم ارتجاله ، ومن هنا فلا تواصل ولا تفاهم بينهما ما لم يكتب لهذا المرتجل من الألفاظ الشيوع والذيوع على ألسنة العامة والخاصة من أبناء المجتمع الواحد ، ومن هنا يرتبط المرتجل بمفهوم أو تصور محدد ومعين في الذاكرة الجماعية للأمة ، ويصبح من ضمن ما هو متعارف عليه في اللغة فيجيزه الاستعمال وتقبله التراكيب وتألفه الأسماع ولا تنفر منه الأذهان وتستصيغه الأذواق ، ومن هنا تتحقق الغاية من المرتجل وتحصل منه الفائدة .

_ الملحــق :

المراد بالملحق أو الإلحاق (( أن نزيد في البناء زيادة لنلحقه بأخر أكثر منه ، فيتصرف تصرفه ، فقد يكون لدينا أصل ثلاثي مثل " ج ل ب " فنود أن نقوي معناه ونؤكده ، فنلحقه بالرباعي بواسطة تكرار اللام ، ونعامله معاملته فنقول " جلبب " ونعاملها بما تعامل به " دحرج " التي لا يرى النحاة فيها زيادة وليس بها تكرار ، وقد لا يكون الإلحاق بواسطة تكرار اللام ، ولكنه يكون بزيادة حرف من حروف " سألتمونيها " ، إما في أول الكلمة وإما بين الفاءء والعين أو بين العين واللام ، وبهذه الزيادة يصبح ملحقا بالرباعي ، فمن الزيادة في بداية الكلمة " سلقى " ، ومن الزيادة بين الفاء والعين " جورب " و " بيطر " ، ومن الزيادة بين العين واللام

"رهوك "و" شريف " و " قلنس " فالياء والواو والنون التي زيدت في هذه الألفاظ من حروف سألتمونيها )) (44)

ويمكن أن تزاد بعض هذه الحروف على الرباعي في مثل " دحرج " فنقول " تدحرج " فيصبح عندئذ ملحقا بمزيد الرباعي ، وبذلك (( نحصل من الألفاظ التي سبق ذكرها على : " تسلقى ، تجورب ، تبيطر ، ترهوك ، تشريف ، تقلنس " والحكم بإلحاقه منوط بهذا التكرار وذلك الإعلال )) (45)

ومن مظاهر الإلحاق التي يرويها ابن جني في الخصائص نقلا عن الدكتور تمام حسان أنه (( لو شاء شاعر أو ساجع أو متسع أن يبني بإلحاق اللام اسما وفعلا وصفة لجاز له ذلك ، ولكان من كلام العرب

وذلك نحو قولك : " خرجج أكرم من دخلل ، وضرب زيد عمرا وررت برجل ضربت وكرمم ونحو ذلك )) (46)

الملاحظ مما سبق أن الملحق هو اللفظ المحور عن طريق زيادة حروف معينة وإلحاقه بوزن أخر غير وزنه الأول للزيادة في المعنى وتأكيده ، وهذا النوع من الإلحاق لا يخرج عن إطار اللغة الأم ، وهو من هنا مصدر من مصادر إثراء اللغة أي المرجع إلا أنه يبقى في حدود الكلمة المشتقة " الاسم والفعل والصفة "

ولا يتعداها إلى الكلمة الجامدة أو المركبة .

قد يراد بالملحق أحيانا المقترض ، لأمه يقوم على إلحاق ألفاظ من لغة بلغة أخرى ، أي أن تستعير لغة من لغة أخرى ألفاظا في حالات خاصة ومعينة فتدخل ضمن الألفاظ الملحقة باللغة المستعيرة أي اللغة الأم ومن هنا فهو أحد طرائق نمو اللغة وإثرائها بألفاظ جديدة ، وهو في (( الحقيقة نوع من التقليد مثله كمثل تقليد الطفل للغة أبوية أو الكبار حوله ، غير أنه تقليد جزئي يقتصر على عناصر خاصة ، في حين أن تقليد الطفل للغة أهله تقليد كلي يتناول كل ما يسمع من الألفاظ )) (47)

يميز المهتمون بهذا الموضوع بين أشكال عديدة من الاقتراض ، ومنها الاقتراض في اللغة والاقتراض في الأساليب والاقتراض في الألفاظ . وسنقتصر في هذا المقال على النوع الأخير باعتباره يتعلق بالكلمة التي تعد محل اهتمام فقه اللغة ، إن مما عليه إجماع الباحثين والدارسين للغات الإنسانية أنها ليست في منأى عن التأثير والتأثر ، وهذا بحكم الاحتكاك المباشر وغير المباشر بين المجتمعات والشعوب والأمم ، وهذا ما أكدته الدراسات التي أنجزت في هذا الميدان ، حيث نسجل انتقال العديد من الألفاظ والكلمات بين اللغات التي حدث بينها هذا الاحتكاك قديما وحديثا ، والأدلة على ذلك كثيرة .

وهذه عينة من الألفاظ العربية التي اقتبستها اللغات الأوربية : الكحول : Alkohol ، القلوي : Alkali

الجبر : Algebra ، صفر : Zero ، ترجمان : Dragoman ، منارة : Minaret (48)

وإذا كانت اللغات الأجنبية قد استعانت بالعربية في هذا المجال ، فالحال كذلك ينطبق عليها إذ طعمت هي الأخرى بألفاظ جديدة استمدتها من اللغات الأخرى كالفارسية والرومية ، وهذا للأسباب نفسها التي ذكرناها آنفا ، ومن الشواهد التي ترويها الكتب عن اقتراض العربية للألفاظ الأعجمية ابتداء من العصر الجاهلي قول الأعشى :

عليه ديابوذ تسربل تحته     أرندج سكاف يخالط عظلما

" الديابوذ " ثوب ينسج على نيرين ، " الأرندج " جلد أسود ، و " العظلم " نوع من الشجر يخضب به ، ففي هذا البيت كلمتان أعجميتان )) (49)

ومما يرويه ابن قتيبة عن الأصمعي تحت عنون " ما تكلم به العامة من الكلام الأعجمي " قوله :

" الزرجون " الجمر ، وأصله بالفارسية " زركون " أي لون الذهب ، قال : و " الخندريس " الخمر ...))(50)

ما يمكن استخلاصه مما سبق أنه لا تخلو لغة من اللغات البشرية القديمة والحديثة من ظاهرة الاقتباس والأخذ مما جاورها من اللغات الأخرى ، وهذا حال العربية في أيامنا هذه التي أصبح فيها العالم عبارة عن قرية بحكم الوسائل الحديثة وفي مقدمتها أدوات التواصل التي أفرزها التقدم التكنولوجي والتي أتاحت سبل التواصل عبر قارات العالم وأضحى التأثر بلغة الغير حتمية لا مناص منها ، ومن هنا فرضت بعض الألفاظ الأجنبية نفسها في تواصلنا اليومي على نحو الأنترنت : Internet ، فاكس : Fax ، أواكس :

Awax ، فيديو : Video ، سيدا : Sida ، تلفزيزن : Television ، برابول : Parabole ، ميكرو : Micro

وغيرها ، وشاعت هذه الألفاظ على ألسنة العامة والخاصة وأصبحت متداولة بشكل تلقائي وعفوي في ما نكتب وفي ما نقول لدرجة أننا أصبحنا نتواصل بها بصفة عادية .

وعليه إذا ما أردنا أن نتواصل بما استحدث من ألفاظ عن طريق الاشتقاق أو النحت أو الاقتراض أو الإبدال أن نتيح لها الشيوع والذيوع على الألسنة أي أن تصبح كما يقول حنفي بن عيسى من العادات اللفظية (51)

_ الهوامش :

_ أسرار اللغة العربية ، إبراهيم أنيس – ص : 47

_ م , ن _ ص : 46

_ خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية ، أحمد شامية ، سلسلة المعرفة ، د د م ج الجزائر ، ب ، ط ، 1995 _ ص : 61

_ أسرار اللعة العربية ، إبراهيم أنيس _ ص : 46

_ نصوص في فقه اللغة ج1 ، السيد يعقوب بكر ، دار النهضة العربية بيروت ، ب ط ، 1970 _ 77

_ م . ن _ ص : 79

_ أسرار اللغة العربية ، إبراهيم أنيس _ ص : 51

_ م . ن _ ص : 54

_ نصوص في فقه اللغةج1 ، السيد يعقوب بكر _ ص : 194

ضياط : من ضاط بمعنى مشى وحرك منكبيه وجسده من كثرة لحم _ رخو : رخاء العيش

_ ضيطار والضيطري

الضخم الجبين العظيم الأست _ ينجرج والنجوج : أسرع _ لوقة وألوقة : السمن _ دمث : بمعنى سهل خلقه _ سبط :

شعر سهل مسترسل _ دردب : جرى جري الخائف الذي يتلفت وراءه _ دردبيش : الداهية ، الشيخ العجوز الفانية .

(10)_ نصوص في فقه اللغة ج1 ، السيد يعقوب بكر _ ص : 194

(11)_ فقه اللغة وأسرار العربية ، ابن منصور الثعالبي ، المكتبة العصرية سيدا بيروت ، ط2 ، 2000 _ ص : 418

(12)_ أسرار اللغة العربية ، إبراهيم أنيس _ ص : 71

(13)_ فقه اللغة وأسرار العربية ، الثعالبي _ ص : 240

(14)_ م . ن _ ص : 428

(15)_ علم الدلالة العربي : النظرية والتطبيق ، فايز داية ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر دمشق ، ط1 ، 1985

ص : 237

(16) _ م . ن _ ص : 237

(17) _ م . ن _ ص : 237

(18) _ فقه اللغة وأسرار العربية ، الثعالبي _ ص : 365

(19) _ مريم : 61

(20) _ الإسراء : 45

(21) _ الأصول دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : نحو ، فقه اللغة ، بلاغة ، تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ب . ط ، 1982 _ ص : 107

(22) _ م . ن _ ص : 297

(23) _م . ن _ ص : 297

(24) _ أسرار اللغة العربية ، إبراهيم أنيس _ ص : 43

(25) _ م . ن _ص : 53

(26) _ م . ن _ ص : 55

(27) _ أدب الكاتب ، ابن قتيبة ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط4 – 1963 _ ص : 374

(28) _ أسرار اللغة العربية ، إبراهيم أنيس _ ص : 57

(29) _ م . ن _ ص : 70

(30) _ أدب الكاتب ، ابن قتيبة _ ص : 377

(31) _ م . ن _ ص : 376

(32) _ أسرار اللغة العربية ، إبراهيم أنيس _ ص : 376

(33) _ م . ن _ ص : 80

(34) _ م . ن _ ص : 80

(35) _ م . ن _ ص : 83

(36) _ م . ن _ ص : 85

(37) _ ألفية ابن مالك في النحو والصرف ، مطبعة المنار ، ب . ط _ ص : 14

(38) _ أسرار اللغة العربية ، إبراهيم أنيس _ ص : 82

(39) _ م , ن _ ص : 82

(40) _ م , ن _ ص : 82

(41) _ م , ن _ ص : 90

(42) _ م , ن _ ص : 90

(43) _ م , ن _ ص : 92

(44) _ الأصول : دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي العرب عند العرب : النحو ، فقه اللغة ، البلاغة ، د . تمام

حسان _ ص : 296

(45) _ م , ن _ ص : 296

(46) _ م , ن _ ص : 297

(47) _ أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس _ ص : 102

(48) _ ينظر م . ن _ ص : 106 وما بعدها .

(49) _ أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس _ ص : 109

(50) _ أدب الكاتب ، ابن قتيبة _ ص : 383

(51) _ ينظر محاضرات في علم النفس اللغوي ، حنفي بن عيسى ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر

ب . ط _ ب , ت _ ص : 172